

## دور القرآن الكريم والسنة الشريفة في صناعة خطابات المرجعية الدينية

### -سنة الإبتلاء الإلهي أنموذجاً-

م.م محمد علي عبود المرعبي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، أما بعد:

تعدُّ خطابات المرجعية الدينية مُمثلة بخطب الجمعة التي تلقى في مدينة كربلاء المقدسة حلقة من حلقات الإتصال بين المرجعية الدينية العليا والمسلمين كافة، لأن هذه الخطب تعبّر عن الفهم الدقيق للإسلام في ضوء القرآن الكريم وفكر الأئمة المعصومين □.

ولا شك أن خطبة الجمعة لها مكانة سامية، وأهمية بالغة.. فهي تتميز بمزايا وتختص بخصائص لا تتوفر في أي نوع من أنواع الخطب الأخرى، سواء من حيث مكانها وزمانها، أو حكمها، وحال المخاطبين بها...

ومن هنا كان الإهتمام بخطابات المرجعية من أولويات الباحث مسلطاً من خلالها الضوء حول أثر وميزة خاصة تتمثل ببيان أثر القرآن الكريم و السنة المطهرة في صناعة خطابات المرجعية الدينية، ولما كان الأمر بهذه المثابة والأهمية أحببت أن أسهم من خلال هذا البحث بالعودة إلى قراءة خطابات المرجعية الدينية بأجمعها، عودة تفهم واستكشاف، واستهداء واستبصار، فكان أن وفقني الله لهذا الموضوع: (دور القرآن الكريم والسنة الشريفة في صناعة خطابات المرجعية الدينية-سنة الإبتلاء الإلهي أنموذجاً- )، وكان من زيادة التفضل والإكرام أن تنطلق الدراسة فيما أحسب من قراءة معمقة حول إحدى خطب الجمعة التي ألقى في سنة ٢٠١٦م والتي

كان موضوعها يدور حول (سنة الإبتلاء الإلهي)، وكان خير أنموذج إبتدئ به في تلك السنة لما فيها من علم غزير وحسن تذوق للنصوص القرآنية والروايات الشريفة. أما أهمية البحث فتكمن في إبراز العناية الخاصة في القرآن الكريم والسنة الشريفة في خطابات المرجعية الدينية كونها الأساس لتلك الخطابات وعليها المعتمد واليه المرجع في زمن نسمع فيه دعوات فجأة للإعراض عنه، والتقليل منه، والتشكيك في أهميته.

أما أسباب إختيار الموضوع فهي كالآتي:

١- ضرورة التنبيه على أن كلا من القرآن الكريم وروايات المعصومين □ شكلت الركيزة الأساس والدعامة الرئيسة في خطابات المرجعية الدينية، لما فيهما من دور كبير في صناعة الإنسان وبنائه .

٢- أهمية الإشارة إلى أن خطابات المرجعية الدينية لعبت دورا مهما في إحياء القيم والمبادئ الإسلامية، وبالتحديد ما صار البحث بصدده بيانته ودراسته وهو (سنة الإبتلاء الإلهي) والتي تعرضت له إحدى خطابات المرجعية الدينية، وبطبيعة الحال قد تمت الخطبة بكافة مباحثها مستنيرة وجاعلة القرآن الكريم وروايات أهل البيت □ الأساس لها.

٣- إن كل خطبة من خطب الجمعة تمثل منحا فكريا وبعدها معرفيا بحيث أن كل خطبة تكون باعثا ومحركا لأذهان العلماء والباحثين لإدراك أبعادها وسبر غورها لفهم مقاصد المرجعية الدينية ومراميها.

٤- كون هذا البحث يتناسب مع أكثر من محور من المحاور المندرجة في المؤتمر (المحور الأخلاقي) و (المحور الثقافي) وخصوصا (المحور الفكري) الذي يعنى بدراسة نتائج المرجعية الدينية، فمن هذا المنطلق ولأهمي الموضوع جاءت هذه الدراسة.

ومن أجل هذا شرعت في الكشف عن جانب مهم من جوانب مختلفة في خطب الجمعة، وقد ظهر لي أن المرجعية الدينية في خطاباتها تسعى إلى الإهتمام بالقرآن الكريم حفظا وتجويدا وتفسيرا، والإلتزام بسنة رسول الله ﷺ حفظا وسلوكا، والسعي على نشرها وتعليمها، وتكوين الشخصية الإسلامية المتفاعلة مع قضايا الأمة المعاصرة، وكذا مساعدة المؤمنين في فهم قضايا الإسلام فهما صحيحا والدفاع عنها من منظور القرآن الكريم والسنة الشريفة.

بناء على ما تقدم، إقتضت طبيعة البحث أن يكون مقسما على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

هذا ولا يمكنني أن أدعي بأني قد أعطيت الموضوع حقه من العناية والإهتمام، فالإنشغال بهكذا مواضيع تحديدا يحتاج معه إلى تضافر في الجهد العلمي لدى الباحث للكشف عن مكان هذا الموضوع في خطابات المرجعية الدينية.

ولا يفوتني بالطبع إن كنت قد خصصت أحدا بعظيم التقدير وبالغ الشكر والامتنان فإني أخص القائمين على إقامة هذا المؤتمر المبارك لأنها تتيح للباحثين فرصة البحث والتنقيب والدراسة والتحليل في موضوعات مهمة وعملية لما يخص المرجعية الدينية.

المبحث الأول: البعد التأثري للقرآن الكريم والسنة الشريفة في صناعة

خطب الجمعة

من الأمور التي أود الإشارة إليها في هذا المبحث هو السبب وراء إختيار لفظة (الصناعة) في عنوان البحث دون غيرها من المفردات، وذلك أن لفظ (الصناعة) يطلق ويراد منها بحسب ما أشار إليه الراغب الأصفهاني بقوله: ((الصنْع: إجادة الفعل))<sup>١</sup>، وهذا المعنى

الذي نقلته عن الراغب يتناسب مع مراد الباحث في الموضوع الذي نحن بصدده، إذ أن (الصناعة) تعني العمل المتقن على نحو يوصف به بأنه جيد وخارج عن حد الرداءة. فعلم من المعنى المعجمي اللغوي لمفردة (الصناعة) أن المرجعية الدينية كانت بارعة في بناء هيكلية خطاباتنا فالناظر لها يلمح أن المرجعية الدينية ذات خبرة ومهارة في توظيف النصوص القرآنية والحديثية لتأليف الخطبة.

تأسيساً على ما قدمناه، فقد اتسمت خطابات المرجعية الدينية بأنها قائمة على إقناع المسلمين كافة واستمالتهم إضافة للتأثير عليهم، ويعود السبب وراء إكتسابها قوة التأثير هو تضمينها للآيات القرآنية وروايات المعصومين □، ومما يلفت النظر أن بناء وهيكلية خطب الجمعة كان معتمداً على الآيات القرآنية والروايات المعتمدة، وقد كان هذا ناشئاً من حسن اختيار النصوص القرآنية والروائية المؤثرة والتي لها مساس في الواقع المعاصر، وكذا مما ينبغي الالتفات إلى أن من ثمار وأهداف خطب الجمعة أنها ترسم ملامح الواقع الإنساني-أفراداً ومجتمعاً. وكذا تقعد وتقتن وتؤسس للمستقبل القادم والذي يطلق عليه برأفاق التطوير، كل ذلك انطلاقاً من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والتي تحملت مسؤولية بيان الفضائل العظيمة والأخلاق الفاضلة مثل: الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والإنفاق في سبيل الله، والتكافل، والعطف على الضعيف، والأرملة، واليتيم، والمسكين، والاستقامة، والوفاء بالعقود والعهود، وطاعة ولاة الأمر، والإخلاص والصدق، والتعاون على البر والتقوى، والرحمة، والحياء، وحب العلم، والتأخي، والتعايش السلمي... وما إلى ذلك مما قد أشبعت بحثاً في خطابات المرجعية الدينية وتحديدًا في خطب الجمعة والتي امتلأت بمثل تلك العناوين وغيرها مما لا يسعنا الإشارة إليها.

وبهذا نخلص إلى أن خطابات المرجعية الدينية واقتناصها للآيات القرآنية والأحاديث المعتمدة وتضمينها لها لم يكن جزافاً وإنما كان عن وعي تام وشعور حي فيما لو صيغت تلك الخطابات في قوالب خاصة.

المبحث الثاني: أبرز ملامح خطبة الجمعة المختارة

ولتحديد أبرز هذه الملامح سيذكر البحث أموراً عدة:

الأمر الأول: إن الإبتداء بمثل هذه الخطبة في يوم (الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٤٣٧ هـ الموافق ١ كانون الثاني ٢٠١٦م) والشروع بعنوان (سنة الإبتلاء الإلهي) يمهد للتأقلم والتطبع مع الحوادث والمكاره والفتن التي أصابت المجتمعات، والتي ستصيبها مستقبلاً، وكأنه فيه إشارة إلى أن النكبات التي حصلت أو التي ستحصل ما هي إلا سنة الله في خلقه، كما في قوله تعالى: ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾<sup>٣</sup>، وقوله تعالى: ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾<sup>٤</sup>.

الأمر الثاني: صدرت الخطبة الشريفة بمقدمة ابتدأت بالتحميد والتمجيد والتهليل لله عزوجل والشهادة على أن محمداً □ وعترته الطاهرة هم صفوة الله في خليقته، وبعدها ذكر (المرجع الأعلى) أدامه الله وصيته ينبغي التذكير بها وهو يوصي ويذكر نفسه أولاً وكعادته في جميع خطبه، مما ينبئ عن الخلق الرفيع والعالي الذي تتسم به شخصيته المباركة، فيقول: ((أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى، ومراقبته في ظواهركم وسرائركم، فإن المؤمن دائم الرقابة لربه، ودائم المحاسبة لنفسه))<sup>٥</sup>.

ثم يضيف ما يمهد للدخول في مضامين خطبته قائلاً: (( واعتبروا بأحوال الأمم من قبلكم لتصبروا على ما ابتلاكم الله تعالى به، فتفوزوا بعظيم الدرجات وجزيل المثوبة))<sup>٦</sup>.

إن من يتأمل نص ما أبداه حفظه الله يرى أنه قد ابتدأ ذكراً منهج التعامل مع البلاء الإلهي وكيفية التخلص منه، فذكر قضية حسنية وهي الإيعاض من الأمم السالفة، وما ذلك إلا لأجل التصبر على ما نبتلى به، فتكون العاقبة بالفوز الكبير والثواب العظيم.

والناظر إلى النص المتقدم يلحظ أن شخصية المرجع ذائبة في الآيات القرآنية والروايات الشريفة فتكاد لا تفرق أحياناً بين كلامه وكلام المعصوم □ لشدة تعلقه به وكثرة قراءته للنصوص القرآنية والحديثية بحيث نجدها ممزوجة معه تكاد لا تفارقه، فإن ما ذكره في النص المتقدم هو مضمون بعض الآيات القرآنية وبعض الروايات الشريفة وهذا ما قصدناه في البحث من أن للقرآن الكريم والروايات الشريفة أثر في صناعة الخطبة من أولها إلى آخرها.

الأمر الثالث: شرع بعد الإنتهاء من تلك الوصايا المتقدمة برواية عن الإمام الصادق □ يظهر أنها قد جُرئت وتمت الإستفادة من مضامينها العالية في أكثر من موضع في خطب الجمعة، وناسب أن يعرج المرجع الأعلى حفظه الله بذكر هذه الرواية خدمة لما هو سيكون بصدده بخصوص (البلاء الإلهي) ولما فيها إشارات لمسألة (الإبتلاء الإلهي)، فذكر قائلاً: (( ما زلنا في رسالة الإمام الصادق □ لشيئته ومحبيه التي قال عنها □: )) هذا أدبنا أدب الله فخذوا به وتفهموه واعقلوه ولا تنبذوه وراء ظهوركم))<sup>٧</sup>،<sup>٨</sup>.

وبالتأمل مما تقدم ذكره يظهر للباحث ثلاثة مسائل يجدر التعرض لها:

المسألة الأولى: إن إحياء ونشر القيم والمبادئ الإسلامية مبني على النظر والاستفادة من القرآن الكريم والسنة الشريفة متمثلة بروايات المعصومين □، وما يسترعي الإنتباه أن قوام ونظام الخطبة كان معتمدا ومتكأ على ما نص عليه الإمام الصادق □ في رسالته ، وهذا ينبئ عن الدور الأساس الذي تقوم به روايات المعصومين □ وأثرها في صناعة خطابات المرجعية الدينية.

المسألة الثانية: إن انتخاب هذه الرواية الحاكية عن (سنة الإبتلاء الإلهي) والشروع به في عام جديد آنذاك لم يكن من فراغ بل كان أمرا ملتفتا إليه من قبل المرجعية الدينية، وحيث أن ظاهرة الإبتلاء الإلهي سارية في جميع الأمم السابقة والحالية، فكان من الضروري إبداء هذه الظاهرة ودراستها وتناولها من جديد فيما لو فرضنا أنها قد ماتت في نفوس بعض الناس وتناسوا أو نسوا وجود مثل هذه السنة والقانون الإلهي الحاكي عن إبتلاء الله لعباده وأنها تمثل إحدى أهم القيم والمبادئ الإسلامية.

المسألة الثالثة: لعل قائلًا يقول: أن الخطبة لماذا لم تستند إبتداء على أي من الذكر الحكيم لبيان هذه الظاهرة وخصوصا أن القرآن الكريم قد تكفل ببيان بعض الإبتلاءات التي رافقت الأنبياء □ في دعوتهم ورسالتهم لهداية الناس؟

ويأتي الجواب مستفادا مما ذكرته الخطبة في تتمّة رواية الإمام الصادق □ إذ أثرت المرجع الأعلى حفظه الله على ذكرها والشروع بها، لأن نظر ورؤية المرجع الأعلى ترمي إلى أن البدء بمثل هذه الرواية المباركة يكون بمثابة المرشد والدليل إلى هذه الظاهرة، وتأسيسا على ما ابتدأ به أولا يذكر الآتي: ((نصل إلى هذا المقطع الذي يتحدث فيه الإمام □ عن مسألة الإبتلاء إبتلاء الله تعالى لعباده، وأن هذا الإبتلاء يكون في الشدة والرخاء، ويعلمنا كيف نواجه هذا الإبتلاء، فيقول □: ((فتدبروا ما قص الله عليكم في كتابه مما ابتلى به أنبياءه وأتباعه المؤمنين ثم سلوا الله أن

يعطيكم الصبر على البلاء في السزاء والضراء والشدة والرخاء مثل الذي أعطاهم»<sup>٩</sup>  
 «١٠.

ومن خلال ما تقدم، يبدو أن المرجع الأعلى حفظه الله وضع الحجر الأساس والخطوة الأولى لمعالجة الابتلاء الإلهي، وهذه الخطوة عبارة عن التأمل والتفكير في قصص الأنبياء والمرسلين لما فيها من العبرة والموعظة، وكيفية الاستفادة منها بخصوص ما قاموا به من التصبر على ما أصابهم بمختلف أشكال التصبر وفي ظروف مختلفة، فإذا أعطينا مثل هذا الصبر الذي أعطاهم الله إياه نكون قد اجتزنا أولى مراحل معالجة الابتلاء الإلهي، هذا ما تمت استفادته من ظاهر الرواية المباركة.

وكذا يستفاد مما تقدم أن سبب جهل الناس بالسنن الإلهية هو وقوعهم في الغفلة عن تدبر سنن الله تعالى، تلك الغفلة التي وقع فيها الكثير من الناس بسبب هجر القرآن تلاوة وفهما وتدبرا وعملا، والى هذا أشار القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فيتظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشدّ متهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا﴾.

ومن هنا نلاحظ أهمية ابتداء الإمام □ الرواية بلفظ (فتدبروا) لما تقدم بيانه أنفا. المبحث الثالث: سنّة الابتلاء الإلهي، حكمته، أهدافه، ألوانه، ووسائله ذكر المرجع الأعلى حفظه الله الهيكل العام للمبحث في خصوص هذا العنوان، فشرع وقال: ((في هذه الخطبة سنبين أن الابتلاء سنّة الله في الأرض، وأن لهذا القانون الإلهي الثابت حكمته وفلسفته، ثم نتحدث عن ألوان الابتلاء، وما يكون منه في الرخاء والشدة والرخاء، ووسائل دفع هذا الابتلاء))<sup>١١</sup>.

تأسيساً على ما عرضه، يرى الباحث أنه من الضرورة أن يتم تقسيم تلك العناوين إلى مطالب متعددة حتى يسهل فهمها وإدراكها ودراستها وفق النظر التحليلي لها، فكان أن انقسم البحث إلى خمسة مطالب، وهي كما يلي:

#### المطلب الأول: الإبتلاء الإلهي سنّة الله في الأرض

لا بأس أولاً وقبل البدء بما طرح في الخطبة بخصوص ما نحن فيه بالإشارة إلى المعنى اللغوي للفظّة (السنة) ليستسيغ لنا فهمها عند إضافتها (لـالله)، فيذكر الأصفهاني أن: ((السنن جمع سنة، وسنة الوجه طريقته، وسنة الرسول □ طريقته التي كان يتحراها وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ (١٢)) (١٣).

ذكر في الخطبة المباركة أنه (( قد بينت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة أن الإبتلاء الإلهي بمعنى الإختبار والإمتحان، سنّة الله في الأرض، وأن هذا القانون الإلهي لا يبد منه لكل الأمم والشعوب، ولكل الأفراد مؤمنين وكافرين)).

تأسيساً على ما ذكر، يرى الباحث أن ما طرحه المرجع الأعلى من بيان معنى (الإبتلاء الإلهي) هو المطلب الأساس وعليه تبتني المطالب الأخرى، إذ أن هذا التحديد لازم وضروري فلا بد منه، بالإضافة إلى أنه قد أشار حفظه الله أن السنن الإلهية شاملة لجميع الأفراد في المجتمع بلا فرق بين ديانة وأخرى مسلماً كان الفرد أو كافراً.

ثم يقيم المرجع الأعلى على ما بنى عليه أدلّة من القرآن الكريم، وهي كما يقول و: (( لذلك وردت في الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ (١٤) لماذا؟ ﴿لينبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾ (١٥)، ثم في آية أخرى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون سلطان ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ (١٦)) (١٧).

إن المتأمل في إستدلالة حفظه الله في الآية الأولى والثاني يلحظ أن الإستفادة من الآية القرآنية وتقطيعها يساعد على تدبرها وفهم مغزاها، وهذا ما قام به سماحته. بناء على ما تقدم، يذكر المرجع الأعلى أمرا بمثابة النتيجة الأخيرة التي توصل إليها بعد التدبر في الآية الأخيرة الذكر وهي حتمية القانون الإلهي الحاكم بر(الإبتلاء) فيقول: ((إذن الإبتلاء أمر لابد منه، وهو شأن الحياة الدنيا، فهي دار ابتلاء واختبار خلق فيها الإنسان، لكي يختبره الله تعالى ويمتحنه كما بينت هذه الآية القرآنية))<sup>١٨</sup>. ثم يضيف بما يهون علينا الأمر ويشد من عزمنا على التصبر قائلا: (( وأفضل البشرية وهم الأنبياء تعرضوا للإبتلاء كما يذكر الإمام الصادق ))<sup>١٩</sup>، ثم يذكر بعد ذلك مراتب الإختبار فيصرح بأن مراتبها متفاوتة ومختلفة بحسب الأشخاص أنفسهم، فيقول: ((وتختلف درجة الإختبار وشدته من شخص إلى آخر))<sup>٢٠</sup>.

المطلب الثاني: الإنسان المؤمن في ظل الإبتلاء الإلهي

تخاطب المرجعية الدينية الإنسان بوصفه مؤمنا بالسنن الإلهية بأن الإمتحان والإختبار لا يفارق الإنسان طيلة مراحل حياته، وإن الإنسان كلما ازداد إيمانه ازداد بلائه، وهذا ما صرحت به الروايات الشريفة، فيذكر المرجع الأعلى ما نصه: ((أيها الإخوة، إن المؤمن يميز بامتحانات متوالية في كل مراحل حياته، ولا تخلو الحياة من الإختبار، إذا تخلص من ظالم أو من حاكم ظالم فلا يتصور أنه تخلص من الإبتلاء، كلا، فبعد أن يخلص الله تعالى عباده المؤمنين من هذا الحاكم الظالم سيبتليهم بامتحان أشد من الإمتحان الذي مرؤوا به بتسليط الظالم عليهم، وكلما زيد في إيمان الإنسان زيد في بلائه، كما ورد في الحديث الشريف))، ثم ذكر بعد ذلك ما يغنيننا عن التعليق على كلامه السابق، فيقول: ((إنما نذكر هذه الأمور لكي نوفر لأنفسنا الإستعداد والتهيؤ للنجاح في هذه الإختبارات والامتحانات))، ثم يأتي بتنظير لما قدمه

أنفا، فيقول: ((كما هو حال الطالب لا بد أن يستعد ويتهيأ للنجاح في الإختبار، ولذلك وسائل سببها من أجل النجاح في هذا الإختبار)).

ثم يعود المرجع الأعلى مخاطبا جمع المؤمنين والمؤمنات بما يفسر عبارته السابقة والتي قال فيها ((وكلما زيد في إيمان الإنسان زيد في بلائه، كما ورد في الحديث الشريف)) مبينا مرتبة الإنسان عند الإبتلاء الإلهي وكذا مشيرا إلى أشد الناس إبتلاء في الدنيا وهم الأنبياء والأوصياء وذلك من خلال مراجعة بعض الروايات في هذا الصدد، فيقول ما نصه: ((أيها المؤمنون والمؤمنات، إذا زيد في بلائكم اكتشفوا من هذه الإبتلاءات وتزايدها أن لكم مرتبة عند الله تعالى أراد أن يخبركم من خلال هذا الإبتلاء، فلا يتصور المؤمن أن هذا الإبتلاء نعمة بل هو نعمة من الله تعالى، ولذلك ورد الحديث الشريف: ((إن أشد الناس بلاء النبيون، ثم الوصيون ثم الأمثل فالأمثل))<sup>٢١</sup> فأفضل الناس وهم الأنبياء أشد منهم إبتلاء ومواجهة للأذى والمشاكل، ((ويبتلى المؤمن بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله فمن صح إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه ومن سخط إيمانه وضعف عمله قل بلاؤه))<sup>٢٢</sup>، وفي حديث عن الإمام الكاظم □ يقول: ((المؤمن مثل كفتي الميزان كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه))<sup>٢٣</sup> ٢٤.

إنطلاقا من مدلول ما أفادته الرواية الأخيرة يسلم المرجع الأعلى الضوء عليها من خلال النظر والتأمل في دلالتها، فيقول: ((هاتان الكفتان نضع في إحدهما الإيمان وفي الكفة المقابلة الإبتلاء؟ فإذا زادت كفة الإيمان زادت كفة الإبتلاء، لذلك حينما يرى الإنسان المؤمن تتابع الإبتلاءات عليه، لا يخرج من ابتلاء حتى يدخل في آخر فلا يظن أنه انتقام فيضجر منه، بل ذلك نعمة من الله تعالى لكي يرفع منزلته ولأسباب أخرى))<sup>٢٥</sup>.

## المطلب الثالث: أهداف الإبتلاء من منظور القرآن الكريم

لخص لنا المرجعية الدينية أهم الأهداف التي تعرضت لها الآيات القرآنية في نقاط ثلاث، واحدة منها صرح بذكر بعض الآيات القرآنية عند ذكر الهدف وراء الإبتلاء وإثنان منها لم يشير إلى الآيات القرآنية صريحا ولكن مضمون كلامه لو تأملنا فيه نجده عبارة عن مضامين لآيات قرآنية عديدة، وسيسرد البحث هذه الأهداف تباعا مع التركيز على الهدف الثاني المضمن لبعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المصرح بها في الخطبة، وهي كما يلي: يقول سماحته حفظه الله: (( إذن أيها الأخوة والأخوات، الإبتلاء أمر لا بد منه وهي سنة الله تعالى جرت على جميع الأمم والشعوب وعلى جميع أفراد البشر، فما الغرض من الإبتلاء؟ وما حكمته؟ نذكر هنا بعض الأهداف التي وردت في الآيات القرآنية:

أولا: أن تظهر حقيقة الإيمان وحقيقة الصفات الإيمانية، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، فالله تعالى لا يكتفي من عباده أن يدعوا أنهم مؤمنون وأنهم على استعداد للجهد والتضحية في سبيله، والصبر والتوكل عليه وغير ذلك من الصفات، بل المطلوب أن يظهر حقيقة الإيمان وأن تظهر هذه الصفات...

ثانيا: من الأسباب الأخرى للإبتلاء كما ورد في الآية القرآنية: ﴿ ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب.. ﴾ (٢٦) ٢٧.

لم يكتف المرجع الأعلى بسرد بالبيان القرآني لأحد أهداف الإبتلاء الإلهي وإنما انطلق بذكر أحد أبرز مصاديق الإختبار في حياة الإنسان المؤمن، وكما يلي: (( فما أكثر من يدعي حب الإمام الحسين □ وموالاته، ولكن في مواطن الإختبار لا يظهر صدق هذا الولاء والحب للإمام الحسين □، تجده ليس على استعداد أن يضحى بمقدار بسيط من المال، أو بشيء يسير من راحته وماله وحياته ومواقفه وامتيازاته في سبيل

أن ينصر الإمام الحسين □))<sup>٢٨</sup>، ثم يأتي بشاهد صدق على ما أفاده، فيقول: (( يقول الإمام الحسن □ في هؤلاء: (( إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما دزت معاشهم))<sup>٢٩</sup>، يعني التدين على لسانهم فقط، ((إذا مُحْصُوا بالبلاء قل الديانون))<sup>٣٠</sup>))<sup>٣١</sup>.

ثم يذكر المرجع الأعلى حفظه الله حكمة أخرى للإبتلاء وهي ((التنبيه والإيقاظ))<sup>٣٢</sup>، ثم يذكر بعد ذلك شرحا وتوضيحا لهذه الحكمة الإلهية ثم ينتهي بقوله: (( بل ورد في بعض الروايات حتى الوخزة البسيطة للإنسان يريد الله تعالى أن ينبه الإنسان بها على أن هناك شيئا يرتكبه من المعصية أو الذنب أو الإبتعاد عن الله تعالى، ويريد الله تعالى أن تعود إليه))<sup>٣٣</sup>.

ثالثا: من الأهداف المهمة للإبتلاء والإعداد والتأهيل وصقل المواهب وتنميتها، فالصبر والتوكُّل والثقة بالله تعالى والجهد والتضحية هذه صفات تكاملية، يريد الله تعالى أن يؤهل الإنسان المؤمن إليها ويتصف بها وترسخ فيه وتصلق))<sup>٣٤</sup>

#### المطلب الرابع: الإنسان المؤمن وألوان البلاء الإلهي

إن ما طرحه المرجع الأعلى فيما يخص أنواع البلاء الإلهي يعدُّ من أهم المطالب التي ذكرت في خطبة الجمعة، وذلك لأنها ترسم صورة كاملة تكون أشبه بالخارطة المعرفية فتحكي الواقع المشاهد وترشد إليه مما يخرج خطابات المرجعية من حيز الكلام والتنظير فقط إلى الشعور بالمسؤولية تجاه الفرد والمجتمع، لذا سيذكر البحث هذه الألوان على شكل نقاط مرتبة رقميا ووكما يلي يذكر سماحته حفظه الله:

١- ((الابتلاء بالخوف، والجوع، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، هذا نوع من الابتلاء أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ٣٥)) ٣٦.

٢- ((ومن أنواع الابتلاء، الابتلاء بالكفار، وهذا أيضا من الابتلاءات التي ربما نبئنا بها في الوقت الحاضر، وابتلي به المسلمون في زمن النبي ﷺ... نحن الآن في معركتنا مع من يدعي الإسلام وهو بعيد كل البعد عن الإسلام، تجد أن هؤلاء يمدون بالسلاح والإسناد من مختلف الجهات، ونحن ربما- ليس لدينا مثل هذا الإستعداد، قد نواجه أحيانا نصرا وأحيانا نواجه تراجعا، قد تطول المعركة، هل نحن على إستعداد بثقتنا بالله تعالى وتوكلنا عليه أن نديم هذا القتال ونصبر ونتحمل إلى أن يأذن الله تعالى بالنصر؟، يقول الله تعالى أنا قادر على نصركم لكن أريد أن أراكم، أريد أن أختبر مدى تحملكم ومدى ثباتكم، ومدى قوة اعتقادكم بالله تعالى، لذلك وصف القرآن الكريم هذه الحالة بقوله: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ﴾ ٣٧، أي لديهم قوة تفوق قوتكم ﴿هَنَالِكِ ابْتَلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ٣٨، وفي آيات أخرى يقول الله تعالى أنا قادر (على) ٣٩ نصركم لكن أريد أن أختبركم ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْتَصِرَ لَهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ ٤٠)) ٤١.

تأسيسا على هذا انبرى سماحة المرجع حفظه الله وبالأستفادة من هذه الآيات القرآنية إلى ذكر قضية بارزة في المجتمع وقد اعتاشها الجميع إذ يقول: ((وربما يواجه بعض المسلمين حاكما ظالما، وتطول مدة ظلمه، ويواجه المؤمنون أشكال التعسف والإرهاب والتضييق عليهم وتطول المدة، هنا يبتلى المؤمنون، هل هم على إستعداد

أن يثبتوا ويصبروا ويتحملوا؟ وهنا تظهر حقيقة الإيمان ومرتبته لدى هؤلاء المؤمنين))<sup>٤٢</sup>.

٣- ((ومن الإبتلاءات الأخرى الي يبتلى بها الإنسان ضيق المعيشة والفقير أو الأمراض، كما ورد في هذا الحديث عن الإمام الصادق □: (( كلما ازداد العبد إيماناً ازداد ضيقاً في معيشته))<sup>٤٣</sup>، فبناء على هذا ((من يبتلى بالفقر وضيق المعيشة فلا يتصور أن هذا سخط وانتقام من الله تعالى بل هو ابتلاء يريد الله تعالى أن يختبر به صبره، وقد يبتلى الإنسان أحياناً بالأمراض والعلل والأسقام بفقدان حاسة من حواسه كحاسة البصر أو حاسة السمع، لذلك ورد في كثير من الأحاديث: (( ذهاب البصر مغفرة للذنوب، وذهاب السمع مغفرة للذنوب، وما نقص من الجسد فعلى قدر ذلك))<sup>٤٤</sup>)).

ما أعظم مدلول ما أفادته الرواية الشريفة التي نقلها المرجع الأعلى حفظه الله، وما أحوجنا لمثل هذه الروايات المؤثرة في نفوس الناس والمسكنة لقلوب من ابتلوا بمثل هذه الإبتلاءات.

٤- (( ومن الإبتلاءات التي يبتلى بها المؤمنون أيضاً إبتلاء التأديب، ما هو ابتلاء التأديب؟ قد يبتعد الإنسان عن الله تعالى ويرتكب معصية أو يقلل إيمانه، فيؤدبه الله تعالى بهذا الإبتلاء لكي يعود إليه))<sup>٤٥</sup>، وذكر لنا بعد ذلك ثلاثة مصاديق تندرج تحت ذلك النوع من الإبتلاءات وهو (إبتلاء التأديب)، وهي جميعاً عناوين مستفادة من مضمون بعض الآيات القرآنية والروايات الشريفة، وهي كما يلي:

أ- قوله: ((ومن جملة ذلك نقص الثمرات، وحبس البركات كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين □: ((إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس

البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب))<sup>٤٦</sup>، فهذا الإبتلاء خير و نعمة من الله تعالى لنا (( ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر))<sup>٤٧</sup>))<sup>٤٨</sup>.

بـ قوله: ((ومن جملة الإبتلاءات تسليط الأشرار والظالمين، فإذا ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ابتلاككم الله تعالى بأن يسلم عليكم الأشرار والظالمين، لذلك ورد في الحديث: ((لتأمرن بالمعروف ولتنهئن عن المنكر، أو ليستمعن عليكم شراركم، فيدعو خياركم، فلا يستجاب لهم))<sup>٤٩</sup>))<sup>٥٠</sup>.

جـ قوله: ((ومن جملة الإبتلاءات توالي الأضرار المقصود منها غلاء الأسعار، وقصر الأعمار، وخسران التجارة، وحبس البركات، والأمراض، لذلك ورد في الحديث عن النبي ﷺ: ((إذا غضب الله على أمة ولم ينزل بها العذاب غلت أسعارها وقصرت أعمارها ولم تريح تجارها ولم تزك ثمارها ولم تغرز أنهارها وخبس عنها أمطارها وسلط عليها شرارها))<sup>٥١</sup>))<sup>٥٢</sup>.

#### الخاتمة ونتائج البحث

هكذا إذن يتحدد أثر القرآن الكريم والروايات الشريفة في منظور هذا البحث ويتبين طبيعة مشاغله في خطب الجمعة، فمن تحليل هذه المشاغل ارتسمت لنا نظرة أخرى إلى خطابات المرجعية هي غير النظرة التقليدية الشائعة القاضية بأن الخطابات الدينية عبارة عن تجميع للنصوص القرآنية والحديثية فقط دون اتخاذه منها لها، بل أننا خلصنا إلى أن أبرز محاور إهتمامها تشكل أرضية خصبة لتطوير تعاملنا مع القرآن الكريم والروايات الشريفة وتغيير عاداتنا في النظر إليها.

إن أبرز ما يمكن استخلاصه من تناولنا لهذا البحث هو أن نتائج البحث كانت على قسمين في البحث:

القسم الأول: النتائج التي خرج بها البحث

القسم الثاني: النتائج التي ارتسمتها المرجعية الدينية في خطبة الجمعة المختارة

وسأعرض كلتا النتيجتين معا نظرا لأهمية الإشارة إليهما:

١- كشف البحث عن الصنعة والمهارة والدقة في خطابات المرجعية الدينية وتحديدًا

في خطب الجمعة ببيان أبرز مراحلها وخطواتها ونسقها وأنها تأطرت بمنهجية متسقة

وهيكلية تامة بحيث تمتاز بكونها بحثًا شاملاً ومتكاملاً ذا مقدمة ومباحث

وخاتمة.

٢- أبرز البحث موضوعاً ينبغي أن يتناول بالدراسة والتحليل والتقييم، وكشف عن

أهميته، مبيناً أثر القرآن الكريم والسنة الشريفة في صناعة خطابات المرجعية

الدينية.

٣- بين البحث أهم المستندات التي اعتمدت عليها خطابات المرجعية الدينية، وكان

من أبرزها القرآن الكريم والسنة الشريفة.

٤- أبان البحث عن أن المنهجية المتخذة للمرجعية الدينية حيال جميع خطاباتها -

المضمنة للنصوص القرآنية والحديثية كانت إنتقائية، ولم تكن عشوائية، إذ

يتم إختيار تلك النصوص بحسب ما تدعوا الحاجة إليه وفيما يخص موضع

الإستشهاد به، حتى أن أغلب عناوين الخطب تتخذ من تلك النصوص القرآنية

والحديثية.

٥- ذكرت المرجعية الدينية في نهاية خطبة الجمعة المختارة في بحثنا والحاكية عن

موضوع (الإبتلاء الإلهي) خاتمة لخصت من خلالها الموضوع المزمع بيانه، وذكرت

جملة من الأمور التي تصلح أن يختتم بها البحث وهو مما يمكن أن يدخل تحت عنوان

(النجاح في ظل الإبتلاء الإلهي ووسائله)، وفيما يلي سأعرض ما جاء في نهاية

الخطبة: ((أختم هذا الحديث الذي ورد عن الإمام الصادق □، وهنا يأتي السؤال: كيف

يُمكن أن ننجح في هذا الإختبار؟ من جملة ذلك أن نعتبر هذه الإبتلاءات وهذه المصائب وهذه الهموم وهذه الكربات التي تنزل علينا إنما هي نعمة من الله تعالى وليست نقمة، لذلك الإمام الصادق □: ((لن تكونوا مؤمنين حتى تغدوا البلاء نعمة والرخاء مصيبة))<sup>٥٣</sup>، إذا عددناها نعمة وتفهمنا وتدبرنا كما في مضمون كلام الإمام الصادق □: تدبروا حين تقرأون آيات القرآن، لاحظوا الله تعالى كيف ابتلى الأنبياء الذين هم أفضل البشر؟ كيف ابتلى عباده الصالحين أشد الإبتلاءات، فصبروا وتحملوا وواصلوا الطريق آخر حياتهم، فعلى الإنسان أن يتحمل ويصبر حتى يصل إلى الهدف، ومن الوسائل المهمة للنجاح في الإختبار الدعاء، عليكم بالدعاء أكثر من الدعاء والإستغفار: ((ثم سلوا الله أن يعطيكم الصبر على البلاء في السراء والضراء والشدة والرخاء مثل الذي أعطاهم))<sup>٥٤</sup>، هذا الذي أعطاهم، ووصلوا به إلى هذه المرتبة الرفيعة سلوا الله تعالى أن يعطيكم مثله))<sup>٥٥</sup>.

الهوامش :

١. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٩٣.

٢. خطب الجمعة توثيق وتحقيق لسنة (٢٠١٦م) (١٤٣٧-١٤٣٨هـ)، مج ١٢، ج ١: ١١-٢١.

٣. سورة الأحزاب / ٦٢.

٤. سورة الفتح / ٢٣.

٥. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١١.

٦. م. ن، مج ١٢، ج ١: ١١.

٧. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تح: علي أكبر الغفاري: ١٢/٨.

٨. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١١.

٩. الكافي: ١٣/٨.

١٠. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١١-١٢.

١١. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٢.

١٢. سورة الأحزاب / ٦٢.

١٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين محمد: ٢٤٥ .
١٤. سورة الملك / ٢ .
١٥. سورة الملك / ٢ .
١٦. سورة العنكبوت/ ٢- ٣ .
١٧. خطب الجمعة تحقيق وتوثيق، مج ١٢، ج ١: ١٢ .
١٨. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٢ .
١٩. م. ن: ١٢ .
٢٠. م. ن: ١٢ .
٢١. الكافي: ٢/ ٢٥٩ .
٢٢. م. ن: ٢/ ٢٥٢ .
٢٣. تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٤٠٨، الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي: ٦٣١ .
٢٤. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٣ .
٢٥. م. ن: ١٣ .
٢٦. سورة الأنفال / ٣٧ .
٢٧. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٥-١٦ .
٢٨. م. ن: ١٦ .
٢٩. تحف العقول: ٢٤٥، بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤/ ٣٨٣ .
٣٠. المصادر نفسها .
٣١. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٦ .
٣٢. م. ن: ١٦ .
٣٣. م. ن: ١٦ .
٣٤. م. ن: ١٣-١٧ .
٣٥. سورة البقرة / ١٥٥ .
٣٦. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٧ .
٣٧. سورة الأحزاب / ١٠ .
٣٨. سورة الأحزاب / ١١ .
٣٩. زيادة من الباحث يقتضيها سياق الكلام .
٤٠. سورة العنكبوت / ٢٥ .
٤١. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٧-١٨ .
٤٢. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٨ .

٤٣. الكافي: ٢/٢٦٢ .
٤٤. كنز العمال، المتقي الهندي: ٣/٢٧٧ .
٤٥. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٩ .
٤٦. شرح نهج البلاغة: ٧٦/٩ .
٤٧. م.ن: ٧٦/٩ .
٤٨. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٩ .
٤٩. شرح نهج البلاغة: ٧٦/٩ .
٥٠. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٩ .
٥١. الكافي: ٣١٧/٥ .
٥٢. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٩ .
٥٣. تحف العقول: ٣٧٧ .
٥٤. الكافي: ١٣/٨ .
٥٥. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ٢٠-٢١ .

## المصادر والمراجع المعتمدة

خير ما نبتدى به القرآن الكريم

١- ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط ١، ١٩٥٩م.

٢- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد العروف برالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم دار الشامية، ط ١، ١٤١٢هـ.

٣- الحراني، الحسن بن علي بن الحسين شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط ١، ٢٠٠٢م.

٤- خطب الجمعة توثيق وتحقيق، العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.

- ٥- الطوسي، محمد بن الحسن، آمالي الطوسي، تح: بهراد الجعفري- علي أكبر الغفاري، طهران، دارالكتب الإسلامية، ط ١، د. ت.
- ٦- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تح: علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، ط ٤، د. ت.
- ٧- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، كنز العمال، بيروت، مؤسسة الرسالة، د. ط، ١٤٠٩هـ.
- ٨- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت، مؤسسة الأعلمي، د. ط، ١٤٢٩هـ.